شَـرْحُ رسـالة

القـــواعد الأربـــع

لشيخ الإسلام

محمـد بن عبد الوهّـاب بن سليمان التميمي

رَحِمَهُ اللَّهُ تعَالى

شرح فضيلة الشيخ

د. بدر بن علي بن طامي العتيبي

حفظه الله تعالى

الشيـخ لم يراجـع التفـريغ

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ

المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يوفقنا وإياكم إلىٰ العلم النافع وإلىٰ العمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعال، وأن يجعلنا من عباد الله العالمين العاملين الداعين إلىٰ الله، الصابرين علىٰ الأذىٰ في سبيل الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

بدأ المؤلف رحمه الله تعالىٰ رسالته المختصرة النافعة الماتعة [القواعد الأربع] بدأ رسالته بالدعاء لطالب العلم والقارئ والمتلقي بهذه الدعوات العظيمات؛ وهذا من حُسْن أسلوبه، والله تعالىٰ قد قال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

والناس جُبِلوا علىٰ محبة مَنْ أحسن إليها، ومن الإحسان للناس: الدعاء لهم.

فدعا الشيخ رحمه الله تعالىٰ للمتلقي والقارئ حتىٰ يُصغي له بهذه الدعوات المباركات.

أول هذه الدعوات: قال: "أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ" وأبشِر بالخير؛ إن تولاك الله في الدنيا والآخرة أن تكون تحت ولاية الله ونُصرة الله وحِفْظ الله، ورعاية الله، وكَلأة الله، فيكلأك الله ويحفظك ويرعاك.

فمَنْ حَظِي بهذه المنقبة العظيمة فهو علىٰ خيرٍ في دنياه وآخرته.

قال: "وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ" وهناك من الناس مَنْ هو بركة، مبارك، ينفع الله به، ويجمع الله به القلوب، ويشرح الله به الصدور، ويهدي الله تعالىٰ به الضالين، ويدلهم للخير، ويطمئن الناس بقُربه ويكون أمان لهم من الشبهات والشهوات.

وهناك من الناس –والعياذ بالله– مَنْ هو مخذول مرجوم مشئوم؛ إذا وقع في أرض أَضَرّ بها وأفسد فيها، وفَرّق بين أهلها، وأورد إليهم الشكوك والبلاء والعياذ بالله.

فهذه دعوة طيبة؛ أن يجعلك الله تعالىٰ مباركًا أينما كنت.

.....

ثم ذكر ثلاث دعوات؛ قال: "وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ" ثم قال: "فَإِنَّ هذه الثَّلاثُ" أي مقابلة العطاء بالشُّكر، والبلاء بالصبر، والذنب بالاستغفار؛ هذه الثلاث "عُنْوَانُ السَّعَادَةِ"؛ وهذا الكلام كلام ابن القيم.

ولا يُشترَط لطالب العلم ولا للعالم ولا للمؤلف أن ينسب كل كلامٍ إلىٰ صاحبه؛ فالعلم رَحِمٌ بين أهله، ينقل بعضهم عن بعض.

وكل ما يتكلم به المتكلم لم ينسجه من بنات أفكاره، وإنما حَفِظها من مشايخه وقرأها في الكتب، وثَقَّف بها لسانه.

فلا يُشترط للمؤلف أن ينسب الكلام إلىٰ قائله، أو ينسب كل كلامه إلىٰ قائله؛ إلا إذا كان فيه نوع من التحقيق، أو يأخذ كلام مُطَوَّل بِفَصّه ونَصّه، فالأدب أن ينسب القول إلىٰ قائله، وأن يقول: (قال فلان الفلاني)، ولا ينسب هذا التحقيق والتحرير والتقسيم، الأمر الذي يكون فيه كُلْفة ومشقة في الجمع، والنظر، والسَّبْر، كأن يقول ابن تيمية: (نظرتُ في أكثر من مائتي تفسير، ولم أجد أن الصحابة اختلفوا في آيةٍ واحدة من آيات الصفات) هذه الجملة لو قالها شخص آخر نقول: (قد كذب)، انسب القول إلىٰ قائله، يقول: (قال ابن تيمية: نظرتُ في أكثر من مائتي تفسير..)، وهكذا..

فهناك عبارات يقبح أن تنسبها إلىٰ نفسك، وإنما انسبها إلىٰ العلماء، أو تقسيمات، أو تعريفات؛ فالأَوْلَىٰ أن تنسبها إلىٰ قائلها.

أما ما عدا ذلك من الكلام فما زال أهل العلم ينقل بعضهم عن بعض، ولم يشترطوا في ذلك أن ينسبوا كل قول إلىٰ قائله، فإنهم هم أن تكون الألف والباء والتاء والثاء وهذه الحروف بحسب ما سمعوه ممَّنْ عَلّمهم، فلا يُشترَط أن ينسبوا الحروف إلىٰ مَنْ عَلّمهم إياها، وإنما يتكلمون بما أخذوه عن أشياخهم.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ.

"مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ" الحنيفية سُمّيت بالحنيفية؛ لأنها حَنَفٌ ومَيْلٌ عن جميع ما يُعبَد من دون الله واستقامةٌ على عبادة الله وحده.

فأول (لا إله إلا الله) أولها حَنَفٌ ومَيْل عن جميع ما يُعبَد من دون الله.

(إلا الله): استقامة على أَمْر الله عز وجل.

ولذلك سُميت بالحنيفية، وهذا هو المعنى الحق.

وأما المعنى المزيّف الذي زَيّفه أهل الباطل: فسَمّوا.. جعلوا ملة إبراهيم عوجاء! وعوجوا بها عن التوحيد إلى الشرك، فنسبوا كل ما يفعله المشركون في مكة إلى إبراهيم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنّما بُعِثْتُ لِأُقيم الْمِلّة العوجاء» أي: عوجوها وانحرفوا بها عن وجهها فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوامها، واستقامتها، وأقام الملة العوجاء فأعاد ملة إبراهيم أي إلى ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، لا على ما كانت عليه من تزييف كفار قريش.

ثم فَسَّر ملة إبراهيم: التي هي عبادة الله تعالى وحده، وإخلاص الدين له.

"أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]".

الغاية من خَلْق الخَلْق هي عبادة الله سبحانه وتعالى، وقد يُعبَد وقد لا يُعبَد، فـ (اللام) هنا لام التعليل، لام كي، أي من أجل أن يعبدوه، كالرسول ليُطاع بإذنه، قد يطاع وقد لا يُطاع.

ولشيخ الإسلام كلام جميل عن معنىٰ اللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] في كتاب القَدَر من الفتاوىٰ، يُلحَق بِنُسَخِكم من كتاب التوحيد، والقواعد الأربعة.. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ.

لأن التوحيد شرطٌ في كل عبادة، أول شَرْطٌ من شروط الصلاة ما هو؟

الإسلام؛ أول شرط من شروط الصلاة.

أول شرط من شروط الزكاة: الإسلام.

أول شرط من شروط الصيام: الإسلام.

الإسلام شَرْطٌ في كل عبادة، ما تُسمىٰ عبادة (عبادة) إلا مع التوحيد.

مرادهم بـ(الإسلام) يعني التوحيد، أن يكون صحيح التوحيد.

فالعبادة لا تسمىٰ عبادة إلا مع التوحيد؛ أي لا تُقبَل منك العبادة إلا مع التوحيد؛ لأن التوحيد شرطٌ في كل العبادات؛ لأن الكافر ما يقبل الله منه، أحبط الله جميع عمله.

ولذلك من شروط قبول الأعمال: الإخلاص، والمتابعة؛ فالإخلاص شَرْطٌ في جميع العبادات.

فإذا زال الشرط زال المشروط؛ كالطهارة في الصلاة؛ الطهارة من الصلاة شَرْط، فإذا زالت الطهارة بَطُلَت الصلاة.

فالشرك مع العبادة كالحَدَث مع الطهارة، والتوحيد في العبادة كالطهارة في الصلاة.

كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّىٰ صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

يُفسدها ولو كان في آخرها، مهما كانت طهارتك، كمالًا وتمامًا فإنها تفسد بالحَدَث، لو في آخر الصلاة، شخصٌ يصلي ثم في آخر الصلاة قبل التسليمتين خَرَج منه ريح، تُقبَل منه صلاته؟ ركوعها، سجودها، قيامه، ما تُقبَل منه لانتفاء الشرط فانتفىٰ المشروط، كذلك الشرك -والعياذ بالله-، التوحيد شَرْطٌ في العبادة، فإذا زال التوحيد بَطُلت كل العبادة، وفَسَدَ سائر العمل حتىٰ ولو كان هذا العمل نُبُوّة.

قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥] يعني كل الأنبياء، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] ما يكون للنبوة ولا للعمل الصالح أي قيمة إذا وقع الإنسان في الشرك وهُم أبعد الناس عن الشرك، فكيف ببقية الناس؛ ولذلك الإنسان يخاف هذا الأمر، وهذه المقدمة تحمل الإنسان علىٰ أن يخاف أن يقع في الشرك فيحبط الله تعالىٰ جميع عمله.

ولذلك روىٰ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب أخبار أصبهان: أن الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ كان مُسافرًا في الحج، فكان كثير الهم والحُزن، فقال له صاحبه نجيب الأصبهاني: (يا أبا عبد الله! ما لي أراك كثير الهَمّ والحُزْن، أتخشىٰ الذنوب؟) يعني تحاسب نفسك وتخاف من ذنوبك؟..

فحَمَلَ سفيان الثوري من الأرض قَشّة صغيرة، عود صغير، قال: (والله ما ذنوبي في عَفْو الرحمن إلا كهذه) أنت مسلم، أَبْشِر بالخير، ما عليك خلاف، الله غفور رحيم.

قال: (والله ما ذنوبي في عفو الرحمن إلا كهذه) وأشار إلىٰ قَشّة صغيرة، (ولكني أخاف أن أُسلَب التوحيد)، ومن هذا المعنىٰ أخذ ابن القيم رحمه الله قوله في النونية:

.....

واللهِ مَـــا أَخْشَـــىٰ الذُّنُـــوبَ فَإِنَّهـــا لَعَلَـــىٰ طَرِيْـــقِ الْعَفْـــوِ وَالْغُفْـــرَانِ

لَكِنّمـــا أَخْشَـــىٰ انْسَـــلاخَ القَلْـــبِ مِـــنْ تَحْكِـــيم هَـــذا الشَّـــرْع وَالقُـــرْآن

كأن الدين شجرة؛ منها ورق أخضر ومنه ورق أصفر آيلٌ للسقوط، الناس يتساقطون من حولنا، فاحمدوا الله علىٰ الثبات، وَارْعَوا هَذه النعمة العظيمة، وليس بيننا وبين الله تعالىٰ صلة إلا الحفظ والرعاية من الله عز وجل، واللجوء والاعتصام به سبحانه وتعالىٰ.

وإلا أنتم تعرفون وأنا أعرف ممَّنْ كانوا من بين أظهرنا ومن بني جِلْدتنا عاشوا دهورًا وعصورًا، وربما زاحمونا عند العلماء وأهل العلم، وقرءوا وكتبوا واقتنوا المكتبات، ثم عادوا في آخر الأمر يطعنون في دين الله عز وجل، تَنَكّبوا عن السبيل وانحرفوا عن الطريق، وشَككوا في الشريعة، وحلقوا اللحىٰ، وشربوا الخمور، وكفروا بالله عز وجل.

يحصل ذلك، يطبع الله علىٰ قلوب بعض الخلائق، فذلك يحمل الإنسان علىٰ أن يخاف.

وبَوّب الشيخ محمد بن عبد الوهاب باب في كتاب الوحيد (باب الخوف من الشرك)، وقبله البخاري في صحيح البخاري، قال: (باب خَوْف الرجل أن يحبط عمله).

فالإنسان ينبغي –يا إخوان!– أن يلجأ إلىٰ الله، وأن يعتصم به سبحانه وتعالىٰ، وأن نسأله دومًا الثبات؛ لأننا لا نأمن، القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلّبهما كيف يشاء.

فما عليك إلا الإقدام، إياك والتخلف، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يزال أقوام يتخلفون عن الصف الأول حتىٰ يؤخرهم الله».

فمَنْ عَوّد نفسه عن التراجع في الصلاة سيتركها، ومَنْ عَوّد نفسه علىٰ التراجع عن العلم وحِلَق العلم سيتركه.

....

إلىٰ درجة أن هناك مَنْ أصبح يُسَوِّق علىٰ كُتبه في الأسواق، هذه الكتب التي طالما ترك أهله، وترك زوجته، وترك أبناءه، وترك مشاغله وأمور الدنيا من أجلها، يقتنيها ويركض بها من مجلس العلم إلىٰ مجلس آخر، وكَتَبَ وعَلَّق وشَرح، ثم في الأخير تركها كلها، وعاد -والعياذ بالله- كالبهائم.

يقول الجرجاني في أبياته المشهورة -وهذا البيت يا إخواني يُنقَش علىٰ صفحات القلوب- يقول:

أَأَشْقَىٰ بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيْهِ ذِلَّةً   إِذًا فَاتّبَاعُ الجهلِ قد كان أَحزَمَا

يا إخواني نحن الآن شقينا، بإمكاننا مع زوجاتنا، مع أبنائنا، في مصالحنا الدنيوية، لكن نشقىٰ ونحضر دروس ومجالس عِلم ونرحل ونسافر، ونقرأ ونكتب، ويحصل منا من التعب واللأواء والشِّدة، وربما بَذْل المال في أمثال هذه الكتب وهذه المجالس، ثم في الأخير نترك دين الله عز وجل؟ ونترك القيام بأَمْر الله سبحانه وتعالىٰ؟ ونترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الخير؟!

أَأَشْقَىٰ بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيْهِ ذِلَّةً   إِذًا فَاتّبَاعُ الجهلِ قد كان أَحزَمَا

والله الجُهّال الذين مع إبلهم ومع دنياهم وفي أسواقهم أحزم منّا وأعقل منّا، ماشين في سبيلهم في دنياهم، أما نحن لا كسبنا الدنيا، وضَيّعنا دين الله سبحانه وتعالىٰ.

فالإنسان يا إخوان يلجأ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بأن يُثَبِّته علىٰ دين الله، وعلىٰ التوحيد، وعلىٰ السُّنة، وعلىٰ الأمر بالمعروف، وعلىٰ النهي عن المنكر، وعلىٰ تعليم الناس الخير.

أسأل الله أن يُثَبّتنا وإياكم.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ.

يكرمنا الإخوان في الورقة البيضاء المقابلة: أن يكتبوا أربعة أرقام، بعضها فوق بعض، من واحد إلىٰ أربعة في الصفحة البيضاء.

الشيخ محمد –كما تقدم معنا– في رسالته لمحمد بن عيد مُطَوّع ثرمداء، أنه قال: **عُرِفت بأربعة مسائل:**

الأول: اسم التوحيد، تعريف التوحيد.

الثاني: تعريف الشرك.

الثالث: الأسماء.

الرابع: الأحكام.

الشيخ محمد رحمه الله يقول: عُرِفت بهذه المسائل الأربعة:

اسم التوحيد الواجب: حَكَروه في توحيد الربوبية، فبَيّن الشيخ محمد أن التوحيد الواجب ليس حِكْرًا علىٰ توحيد الربوبية؛ فتوحيد الربوبية –وهو ما يسمىٰ بتوحيد المعرفة والإثبات– هذا حتىٰ إبليس يعرف بأن الله ربه، قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] فهو يُقِرّ لله تعالىٰ بالربوبية، وكفار قريش يُقِرّون به، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فَهُم ضَيّقوا التوحيد الواجب، فجعلوه في توحيد الربوبية.

فبَيّن لهم الشيخ محمد بأن التوحيد له معاني كثيرة: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

.....

فمن أنواع التوحيد: توحيد التّأَلُّه والتعبد لله عز وجل، وهو المراد وهو المطلوب، وعليه قامت سوق الجنة والنار، وبه جاءت الرسل، وأُنزلت الكتب، توحيد الألوهية.

فهذه أنواع التوحيد الثلاثة قد بَيّنها الشيخ رحمه الله تعالىٰ.

وهذا التقسيم تقسيم شرعي، جاء في كتاب الله في أكثر من موطن:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] توحيد الألوهية.

الحمد لله، الصلاة لله، الزكاة لله، الصوم لله.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] توحيد الألوهية.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] الربوبية.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] بِشِقّيه الذاتية والفعلية، فالرحمن في ذاته، والرحيم بعباده.

فأقسام التوحيد جاءت ثلاثة.

وكذلك في سورة مريم: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥] الربوبية.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥] الألوهية.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] الأسماء والصفات.

وكذلك سورة الإخلاص، وآخر سورة الصافات، ومواطن عديدة قد بَيّنها أهل العلم في أكثر من موطن، فأقسام التوحيد ثلاثة، من حيث هذا التقسيم.

في تقسيم آخر مشهور عند أهل العلم: **تقسيم التوحيد إلى قسمين:**

- توحيد المعرفة والإثبات.
- وتوحيد القصد والطلب.

ما الفرق بين التقسيمين؟ وما هذا الاضطراب عندكم؛ مرةً ثلاثة، ومرة اثنان؟

.....

الجواب: أن التقسيم باعتبارين اثنين، فمَنْ اعتبر النظر إلىٰ حق الله عز وجل قال: يا رب! أُوَحّدك في ألوهيتك، وأُوحدك في ربوبيتك، وأُوَحّدك في أسمائك وصفاتك، فأين مدار التقسيم؟

حق الله، النظر إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، إلىٰ حق الله عز وجل، فالنظر إلىٰ حق الله عز وجل، لم ينظر لك يا مُكَلَّف، وإنما أنظر لربي عز وجل، يقول: يا رب! لك عليّ حق؛ أن أُوَحّدك في ربوبيتك، وأُوحدك في ألوهيتك، وأُوحدك في أسمائك وصفاتك.

فالنظر في هذا التقسيم إلىٰ حق الله.

ومَنْ قَسَم التوحيد إلىٰ قسمين نَظَر إلىٰ الواجب علىٰ الْمُكَلَّف.

فيا عبد الرحمن يجب عليك أن تُوَحِّد الله في قَصْدك وطلبك، وأن تُوَحِّد الله في معرفتك وإثباتك، أي النظر إلىٰ المكلَّف.

فعرفتم من أين أتىٰ؟

أتىٰ التقسيم من هذا الباب؛ أن مَنْ قَسمه إلىٰ ثلاثة أقسام نَظَر في الحق الواجب لله، ومَنْ قَسَمه إلىٰ قسمين نَظَر في الحق الواجب علىٰ المكلَّف، والمعنىٰ واحد هنا أو هناك.

إذًا فالمسألة الأولىٰ التي جاء بها الشيخ محمد رحمه الله: تحقيق معنىٰ التوحيد، حكروا التوحيد علىٰ الربوبية، فأتىٰ وبَيّن لهم أن التوحيد: توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وصَنّف في ذلك كتاب ثلاثة الأصول، وبَيّن فيه معنىٰ التوحيد، وعامة رسائل الشيخ رحمه الله تعالىٰ.

المسألة الثانية: الشرك.

خرج علىٰ أقوام يظنون أن الشرك بأن نعتقد بأن الحجر والشجر والولي يخلق ويرزق ويُحي ويُميت.

.....

قلنا: لا؛ ليس هذا فقط الشرك، لا شك أن هذا شرك، شرك في الربوبية؛ إذا اعتقد بأن الولي يخلق ويرزق ويُحي ويُميت ويعلم الغيب؛ هذا شِرْك في الربوبية.

لكن ليس هذا هو فقط الشرك؛ بل الشرك له صُوَر عديدة، ماذا صنع هؤلاء؟

ضَيّقوا دائرة الشرك، فَوَسّع الشيخ محمد دائرة الشرك، وبَيّن لهم أن الشرك له صُوَر عديدة، وأَلّف كتاب التوحيد؛ (بابٌ من الشرك، باب من الشرك..) هم حَكروا الشرك علىٰ صورة واحدة، فبَيّن الشيخ أن الشرك له صُوَر عديدة، وما يُسمىٰ بنواقض الإسلام، وصَنّف فيها رسالة نواقض الإسلام، وأتىٰ بالْمُجمَع عليه، عشر نواقض، ومع ذلك سموه تكفيريًّا، وقالوا: يُكَفِّر الناس! وهي ورقة واحدة، عشر نواقض.

ابن حجر والهيتمي أَلَّف كتاب، مجلد كامل، اسمه الإعلام في قواطع الإسلام.

وبدر الرشيد الحنفي أَلَّف كتاب أربعمائة وثمانين ناقض استخرجها، لماذا لم يقولوا عنه بأنه تكفيري؟!

هو العدوان..

والشيخ محمد لم يذكر في هذه النواقض إلا ما كان فيها أمران اثنان؛ مُجمَع عليه، ومُشتهِر بين الناس، هذه العشر نواقض، أنها محل إجماع، ليس فيها خلاف هذه العشرة، وأنها مشتهرة في زمانه، وإلا هناك مُكَفِّرات أُخَر، لكن قد تكون مُختلَف فيها، وقد تكون غير مشتهرة بين الناس في عصره.

فإذًا في تحقيق معنىٰ الشرك: أَلّف الشيخ محمد كتاب التوحيد، وكتاب نواقض الإسلام.

المسألة الثالثة: الأسماء، ماذا أُسميه؟.. بَيّنت لنا التوحيد –جزاك الله عنّا كل خير–، وبَيّنت لنا الشِّرك –أثابك الله–، ماذا نسمي مَنْ وَقَع في الشرك؟

فبيّن الشيخ مسألة الأسماء، متىٰ يسمىٰ الرجل مسلمًا ومتىٰ يُسمىٰ مشركًا؟.. وألّف في ذلك رسالة سماها مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ومَيّز فيه بين اسم المشرك واسم المسلم.

عرفنا بأن هذا الرجل مشرك، وسميناه مُشركًا، ما حُكمه في الإسلام؟

إن كان فردًا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل.

وإن كانوا جماعة استُتيبوا، فإن تابوا وإلا قُوتلوا.

فتكلم في مسألة الأحكام في أي كتاب؟

في كتاب كَشْف الشبهات.

علىٰ هذه القواعد ابنِ جميع مؤلفات الشيخ محمد رحمه الله تعالىٰ، وما سنقرؤه الآن هذا التقسيم خَفّف عنّا مئونة الشرح فيما سيأتي، وإنما نعيد كل قاعدة إلىٰ مكانها في هذه القواعد التي أنتم كتبتموها في هذا الورقة..

نعود..

الْقَاعِدَةُ الأُولَى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

فالقاعدة الأولىٰ تُوافق رقم واحد أم ما توافق رقم واحد؟

توافق رقم واحد؛ أن القاعدة الأولىٰ جاءت لتحقيق معنىٰ التوحيد، هذا العنوان الرئيسي، القاعدة الأولىٰ: تحقيق معنىٰ التوحيد، ما هو التوحيد؟

لا تظن بأن التوحيد هو فقط أن تُقِرّ بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، هذا ليس هو التوحيد المطلوب منّا فقط، بل هناك توحيد أهم، وهو توحيد الألوهية.

فالقاعدة الأولىٰ في تحقيق معنىٰ التوحيد المطلوب من المكلّفين.

فبيّنه الشيخ رحمه الله تعالىٰ.

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فبَيّن الشيخ بأن طلب القربة والشفاعة شِرْك، فحقق معنىٰ الشرك.

فإذًا القاعدة الثانية: تحقيق معنىٰ الشرك.

فلا تظن بأن الشرك أن تعتقد بأن الولي والصالح هو الذي يخلق ويرزق فقط، لا؛ بل من الشرك طلب القربة، وطلب الشفاعة من الأولياء والصالحين.

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

إذا جاء في القرآن الكريم ذِكْر الشفاعة: إما أن تأتي منفية، وإما أن تأتي مثبتة.

فما هي الشفاعة التي أثبتها الله، وما هي الشفاعة التي نفاها الله؟

التي نفاها الله: هي ما يطلبه المشركون من آلهتهم، فهذه شفاعة منفية.

وأما الشفاعة التي أثبتها الله: فهي الشفاعة بشرطين اثنين: الإذن، والرضا، فهذه الشفاعة هي المثبتة في القرآن الكريم.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ.

وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ.

معنىٰ "تُطْلَبُ مِنَ اللهِ" لا يعني هذا القول من الشيخ محمد أن تقول: (يا الله! اشفع لي) لا؛ هذا منكر، ما يجوز أن تقول: (يا الله! اشفع لي)، كما أنكر النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ الرجل عندما قال: إنّا نستشفع بالله عليك، وبك علىٰ الله، فغضب النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «أتدري ما الله؟ إنه لا يُستشفع بالله علىٰ أحدٍ من خَلْقه».

فليس المراد هي التي "تُطْلَبُ مِنَ اللهِ" بمعنىٰ أن الله يشفع لنا، لا؛ لأن الشافع لا يملك ما عند المشفوع عنده، والله يملك كل شيء.

وإنما المراد أن "تُطْلَبُ مِنَ اللهِ": أن يأذن الله تعالىٰ بها.

"تُطْلَبُ مِنَ اللهِ": سواءً بطَلَب الدعاء أو بالإذن بالتشريع، تُطلَب من الله سبحانه وتعالىٰ، هذه الشفاعة المثبتة.

"وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ" أي أنه لا يملكها، فالنبي صلىٰ الله عليه وسلم الله عز وجل وَعده بالشفاعة، فهو مُكْرَم بالشفاعة ولا يملكها.

وعلىٰ ذلك؛ هل الصحيح أن تقول: يا رسول الله! اشفع لي، أم تقول: اللهم شَفِّع فيّ رسولك؟

اللهم شَفِّع فيّ رسولك.

.....

فهنا أنت طلبت الشفاعة من الله، أي طلبت أنّ الله تعالىٰ أن يأذن لرسولك أن يشفع فيّ، فهذا معنىٰ الشفاعة تُطلَب من الله سبحانه وتعالىٰ، لا أن الله تعالىٰ يكون لنا شافعًا، فالله هو المالك، لا يشفع عند أحد سبحانه وتعالىٰ.

فـ "الشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ"..

سؤال: هل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يملك الشفاعة يوم القيامة؟

الآن يملك الشفاعة أم أنه وُعِد بالشفاعة؟

الجواب: وُعِد بالشفاعة.

فإذا كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا يملك الشفاعة الآن كيف يُطلَب منه ما لا يملك؟!

لذلك لم يأتِ أحد من الصحابة.. شخص طلب الشفاعة وقال له: هي لك، أشفع لك؛ أبدًا، لا يوجد ذلك، وإنما دَلّهم علىٰ أعمال صالحة يفعلوها، فإن فعلوها فإن الله سوف يثيبهم بأن يدخلوا في زُمرة مَنْ يُشْفَع له يوم القيامة، قال: «وقد وَجَبت له شفاعتي»، فنبينا وُعِد بالشفاعة ولا يملكها، فلا يجوز أن تُطلَب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لا يملكها، وإنما وُعِد بها، وسوف يُعطاها، والله تعالىٰ لا يُخلِف الميعاد.

وَالْمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

ضع خطًّا تحت قوله: "وَقَاتَلَهُمْ"، وقوله: "وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ".

ومن جملة "وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ" أَخْرِج سهمين اثنين، واكتب علىٰ واحد (الاسم)، واكتب علىٰ الثاني (الحُكم)، لم يُفَرِّق بينهم في الاسم ولا في الحُكم.

مَنْ يقول: (يا سواع، يا وَد، يا يغوث) ما اسمه؟ مشرك.

والذي يقول: (يا رسول الله)؟

لا تُفَرِّق بينهم في الاسم، هذا مشرك وهذا مشرك، هذا يستغيث بـ (وَد، وسواع، ويغوث)، وهذا يستغيث بـ (محمد، وبالصالحين، وبالبدوي، وبالجيلاني).

فلم يُفَرِّق بينهم في الاسم، لا الذي يدعو مَلكًا أو نبيًّا أو صالحًا أو شجرًا أو حَجَرًا أو شمسًا أو قمرًا، لم يُفَرِّق النبي صلىٰ الله عليه وسلم بينهم في الاسم، فلا تَقُل: (هذا يدعو صالح، وهذا يدعو غير صالح)، أبدًا، لا فَرْق بينهم في الاسم.

فإن وافقتني بأنه لا فَرْق بينهم في الاسم وسميت هذا مشرك، هل تُفَرِّق بينهم في الحكم؟

لا تُفَرِّق بينهم في الحُكم.

.....

لماذا تستبيح دماء هؤلاء، وهؤلاء دماؤهم حرام؟

فالحُكم أيضًا لا يختلف بين هذا وذاك، فمَنْ سُمّي مشركًا فحُكمهم واحد، وإنما المصلحة والمفسدة وقواعد أو روابط فقهية هي التي تُحَرِّك السيف أو تَكُفّه.

فإذًا في هذه القاعدة جَمْع للقاعدتين الثالثة والرابعة التي نَبّهت عليها آنفًا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠)﴾ [النجم: ١٩ -٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُنَوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ.

فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ.

الحَدِيثَ.

"ينوطون" يعني يُعَلِّقون، من النّياط: وهي المعاليق، فيُعلقون السلاح بتلك السدرة اعتقادًا بأن السلاح الذي يُعَلَّق عليها يكون أشدُّ نكايةً وإصابة؛ وهذا من الشرك.

"يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُنَوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ".

"ذَاتُ أَنْوَاط" أي ذات معاليق.

....

القاعـدة الرابعـة تأكيديـة، يؤكـد بعـد أن بَـيّن أن هـذه الصـفات الأربـع قـد اختلّـت عنـد المتأخرين فالمتأخرون أشدّ كُفْـرًا مـن المتقـدمين، بعـد أن بَيّن أن المتـأخرين أضـاعوا معنىٰ التوحيد، وأضاعوا معنىٰ الشرك، وخلطـوا في الأسـماء وخلطـوا في الأحكـام بَيّن لهـم بـأن مـا يقع عند المتأخرين من الشرك هو أشدُّ مما يقع عند المتقدمين من المشركين.

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدّة.

بل هُم في الشِّدة أقرب إلىٰ آلهتهم، حتىٰ يقول بعضهم: (وماذا ينفعني الله، عليك بفلان)! هذه ذكرها صاحب تقديس الأشخاص، وهي منقولة كذلك في كتاب تنبيه الخواص للزَّبيدي في أولياء الصوفية.

ومَنْ قَرَأ في كُتُب تراجم طبقات الصوفية يجد العجائب والعياذ بالله من التعلق بآلهتهم، (الْمَدد يا فلان، الغوث يا فلان) هذه ما قالها أبو جهل ولا أبو لهب، أبو جهل وأبو لهب يفزعون في وقت الشِّدة إلىٰ الله، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ولكن هؤلاء –والعياذ بالله– إذا حَلّت به مصيبة أو أَلَمَّت به لائمة ينادي: (الغوث يا جيلاني، الْمَدد يا رسول الله، أغثني أنا في حسبك)؛ هذه كلها والعياذ بالله من الشناعة والبشاعة في الشرك بما لم يقع فيه الكفار الأوائل.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعلىٰ آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

اللهم صَلِّ وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

تمت بذلك رسالة القواعد الأربعة، وهي علىٰ اختصارها وقِصَر عبارتها إلا أنها عليها مدار دعوة شيخ الإسلام عليه رحمة الله عز وجل، وهي مهمة للغاية.

بفضل الله عز وجل أُجيزكم بها بأن تروووها بحق قراءتي لها علىٰ جماعة من المشايخ، كشيخنا الشيخ عبد الرحمن بن سعد العَيّاف، وإبراهيم بن راشد الحديثي، وإبراهيم بن عبد الله بن حمد بن عتيق، وشيخنا محمد الشِّدي، وجماعة؛ كلهم يروونها بالأسانيد المتصلة إلىٰ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله عز وجل.

وأسأل الله الكريم لي ولكم النفع والفائدة.

هذا والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.